

حراك إيجابي في غزة

حدثان غير مألوفين شهدتهما الساحة الداخلية لحركة حماس في قطاع غزة في الأيام الماضية يعطيان لمن تدبرهما مؤشراً علنتغير ما في الاتجاه الإيجابي ..

فأما الحدث الأول فقد تمثل في نشر الكاتب مصطفى الصواف المقرب من قيادة حركة حماس مقالاً في صحيفة الرسالة المقربة من حركة حماس بدورها انتقد فيها غياب الشفافية في معايير اختيار أحد الوفود وتضمن هذا الوفد اسم نجل أحد الوزراء، وقد نتج عن هذه المقالة تدايعات انتهت باستجواب المجلس التشريعي للوزير ومساءلته ..

أما الحدث الآخر فقد تمثل فيامتناع عدد من أعضاء المجلس التشريعي عن منح الثقة للتعديل الوزاري الذي قام به رئيس الوزراء إسماعيل هنية، وفي بادرة غير مسبوقه انتقد النائب عبد الفتاح دخان أحد القادة التاريخيين لحركة حماس التشكيلة الحكومية وقال بالحرف الواحد: "أربأبنفسى بأن أشهد شهادة زور على بعض من ذكروا ضمن الأسماء .."

أهمية هذين الحدثين تكمن في أنالنقد العلني في حركة حماس غير مألوف، وقد ظلت الحركة تنظر بحساسية مفرطة إلى أي نقد علني خاصة إذا كان صادراً عن أحد أبنائها أو قادتها وكانت تعتبر أن هذا النقد يضعف الحركة أمام خصومها ويعطيهم فرصةً للاصطياد في الماء العكر ..

ظلت حماس على هذا الموقف المتحفظ من أي نقد علني حتى مع تطور وسائل الإعلام وظهور الإعلام الجديد الذي لا يتقيد بأيسقف أو محددات ولا يعترف بمحرمات يمنع الاقتراب منها ..

لكن القاعدة الشبابية العريضة التي تتألف منها حركة حماس كانت أسبق من التنظيم إلى مواكبة الإعلام الجديد، فوجد الشباب فيه منبراً للتعبير عن آرائهم بكل حرية ولتحقيق ذواتهم، ولم يعد مجدياً أنتظل قيادات الحركة على تحفظها لأن من شأن هذا التحفظ أن يدفع الشباب إلى تجاوز الأطر التنظيمية حين يرون أنها لا تتماشى مع طموحاتهم في تحقيق ذواتهم ..

زادت الفجوة بين شباب حركة حماسالناض بالحياة والتواق إلى التغيير وبين الأساليب التقليدية الجامدة التي يتسمبها التنظيم، وقد بدا من السهولة رصد هذه الفجوة من خلال تتبع محتوى مشاركات أبناء حركة حماس في المواقع التفاعلية وحجم الانتقادات الموجهة لأخطاء الحكومة وزرائها، وظهرت هذه الانتقادات حتى في مواقع الحركة التي تعطي هامشاً من الحرية مثل شبكة فلسطين للحوار التي تمثل أكبر تجمع غير رسمي لأبناء الحركة ومؤيديها، فما إن ينشر خبر عن أخطاء الحكومة إلا وتجد أن ردود نسبة كبيرة من أعضاء الشبكة تصب في اتجاه نقد الحكومة مما يعطي مؤشراً صادقاً على شعور متزايد بالتململ والضيق في نفوسالقاعدة التنظيمية ..

الدرس الذي نريد لقيادة حركة حماس أن تدركه من خلال هذا الحراك أنه حراك لا يهدد تماسك الحركة، بل على العكس تماماً فهو فرصة إيجابية يمكن الاستفادة منها فيتقدم الحركة، لأن النقد العلني يمثل عامل استفزاز يدفع للمراجعة الدائبة والحرص على سد مواطن الخلل والقصور التي تستجلب النقد ..

الوضع الطبيعي في أي تجمع بشري في العالم أنتكون هناك رؤى وزوايا نظر متعددة، فكما أن الناس مختلفون في معارفهم وثقافتهم وظروف نشأتهم وميولهم وخبراتهم فمن الطبيعي أن ينتج هذا الاختلاف تنوعاً في الرؤى وزاوية النظر، لذا فإنه لا يدين الحركة أن تظهر أمام الناس وقد تعددت الآراء داخلها، بل إن ما يدينها هو أن يكون أعضاؤها كالتطيع لا يفكرون ولا يرون إلا ما يرى لهم كبراًؤهم ..

أما عن شبهة قبول النقد في السرور فضه في العلق فهي شبهة مردود عليها من عدة أوجه، أولاً فإن أجواء العمل تحتالشمس هي أقرب للشفافية والمصداقية، بينما العمل السري يشوبه كثير من الغموض والشبهات ويكون أبعد عن المحاسبة والتدقيق، كما أن طريق النقد السري مليئ بالعبثات الفنية التي تحول دون تحقيق أهدافه في التغيير إذ إن هناك تعقيدات تنظيمية كثيرة تعرقل وصول الأفراد إلى صناعات القرار لتوصيل رأيهم، وكثيراً ما تموت القضية قبل حلها، وحتفي حال وصول أفراد القاعدة التنظيمية إلى قياداتهم فهذا وحده لا يكفي، إذ ربما يعرف الفرد القائد بخطئه ومع ذلك يصر القائد عليه لهوى في نفسه أو لعدم اقتناعه بخطئه، فهنا لا بد من أدوات ضغط لدفع المسئول للتغيير لا أن نراهن على تقواها الفردية وحسب، ومن شأن النقد العلني أن يمثل ضغطاً يدفع المسئولين للتغيير إن لم يكن إيماناً فإلجاءً .

هناك عامل آخر مهم يبرر الحديث العلني عن الأخطاء وهو أن المستهدف من عملية النقد ليس المسئولين وحدهم، بل هو في المقام الأول الرأي العام داخل الحركة أو خارجها، فلا بد أن يمتلك هذا الرأي العام وعياً بالصواب والخطأ ولا بد من تحشيدته ليشكل كتلة ضاغطة في اتجاه تعزيز الإيجابيات ومحاربة السلبيات، وهذا لا يتحقق إلا حين يكون النقد علنياً .

وبعد كل ذلك فإن طبيعة العصر الذي نعيشه قلص كثيراً من مساحة العمل السري، فحتى لو لم تكن راغبين في نشر غسيلنا فإن واقعا لفضاءات المفتوحة الذي نعيشه يفرض علينا أسئلة حرجة لا بد من الإجابة عنها علناً، وكما يرى الناس الأخطاء جهاراً فلا بد أن يسمعوا نقد هذه الأخطاء جهاراً كذلك حتى لا يظنوا أن أبناء الحركة إمعات أو قطيع يسبرون وراء قياداتهم على غير بصيرة أو هدى ..

لقد سقطت مبررات حظر النقد العلني خاصة أن من ينتقد لا يكشف أسراراً عسكرية أو أمنية تفيد العدو بل ينتقد ظواهر معاشية يراها الجميع، وتصل أخبارها إلى العدو قبل الصديق، فإن منعنا الحديث عنها بقيت الأخطاء، أما إن رحبنا بالنقد وفتحنا الأبواب للاستماع إليها فإننا نستفيد في المراجعة والتصحيح، وحين نسمع من ينتقد فإننا نعلم أن نفكر في مضمون نقده ونستفيد منه، لا أن نغضب من شخصه لأنه تجرأ على النقد ونهمل مضمون كلامه .

إن إغلاق أبواب النقد لن يفعل شيئاً سوى أن يدفع الشباب التواقين إلى التغيير إلى الانفضاض من حولنا والتوجه نحو الإعلام الجديد حيث يعبرون عن كل ما يجيش في صدورهم دون حسيب أو رقيب ..

والله أعلم

أحمد أبورتيمة